

محرکہ متریکرت  
فی ضوء وثائق بسیلوس

بقلم  
الدکتورة اسمت غنیم  
کلیة التریبة - جامعة الاسکندریة

## معركة منزيكوت في ضوء وثائق بسيللوس

تعتبر معركة منزيكوت من أهم وأخطر المعارك في تاريخ العلاقات البيزنطية الاسلامية ، لما ترتب عليها من نتائج بعيدة المدى غيرت ميزان القوى في منطقة الشرق الأدنى خلال النصف الثاني من القرن الحادى عشر الميلادى ولمدة قرنين تالين .

فان هذه المعركة التاريخية التى جرت في عام ١٠٧١ م . بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة المسلمين ، والتى انتهت بانتصار ساحق للسلاجقة ، قد فتحت طريق آسيا الصغرى على مصراعيه للمسلمين ، الذين لم يجدوا أمامهم أى عائق يحول دون تقدمهم في هذه البلاد على حساب الممتلكات البيزنطية ، فاستمروا يوالون فتوحاتهم الواحدة تلو الأخرى ويتقدمون من موقع إلى آخر أكثر قرباً من العاصمة البيزنطية نفسها ، حتى لم يعد يفصل بينهم وبينها سوى مضيق البوسفور .

وهكذا وبضربة واحدة دفعت غرباً الحدود التقليدية التى طالما فصلت بين المسلمين والدولة البيزنطية .

وقد سارت الامبراطورية البيزنطية بعد هذه المعركة بخطى سريعة نحو الانهيار ، ففي الداخل اشتعلت الحروب الأهلية بين البيزنطيين من أجل الاستحواذ على العرش ، وانهارت القوة العسكرية للدولة ، كما انهيار النظام الادارى بها .

وفي الخارج ازداد طمع الاعداء بها واعتدائهم على ممتلكاتها ، وقد أدت كل هذه العوامل إلى تفاقم خطر السلاجقة بشكل لم تتمكن معه الامبراطورية البيزنطية من التصدي لهم ، مما دفعها إلى الالتجاء إلى الغرب الأوروبي واستجداء مساعدته العسكرية في محاولة لوقف تقدم السلاجقة وما تلى ذلك من قيام الحركة الصليبية .

فهذه المعركة ، قد غيرت ميزان القوى في منطقة الشرق الأدنى لصالح المسلمين وكانت الشرارة الأولى التي أطلقت الحروب الصليبية بكل ما صاحبها من تغييرات جوهرية في المنطقة لمدة قرنين من الزمان .

ومعركة منزيكرت ، نسبة إلى مدينة منزيكرت التي تقع في أرمينيا إلى الشمال من بحيرة فان Van وهي المدينة التي جرت المعركة بالقرب منها وهذه المدينة من المدن القليلة التي عرفت بأكثر من اسم واحد . فقد اختلفت تسميتها في المصادر العربية عنها في المصادر البيزنطية ، بل لقد تعددت تسمياتها في المصادر العربية نفسها ، فقد ذكرها كل من المؤرخين (١)

سبط ابن الجوزي باسم منازجرد ، وابن العديم باسم مناز كرد ، وابن الأثير باسم ملاز كرد ، وأبو الفدا باسم ملازجرد ، ووصفها بقوله : «وهي بلد صغير وبنائها بالحجر الأسود ، وبها عين ، وليس بها أشجار ، قال ابن حوقل وهي بلدة تقارب خلاط ونشوى في القدر ، خصبة كثيرة الخير ، وهي قرية من أرزن بينهما يومان أو ثلاثة ، تقع أرزن جنوبها وفي جنوبها وشرقها بدليس وبينهما قريب من يوم ونصف» .

(١) راجع المصادر العربية التالية :

- ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨ ، حاشية ص ص ٩٩ - ١٠٥
- ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سمي الدهان ، دمشق الجزء الثاني ص ٢٦
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ج ٨ ، ص ١٠٩
- أبو الفدا : تقويم البلدان ، باريس ، ١٨٤٠ ، ص ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

وهكذا لم تتفق المصادر العربية على تسمية واحدة لهذه المدينة ، أما المؤرخون البيزنطيون وعلى رأسهم الامبراطور قسطنطين السابع فقد ذكروها باسم Manzikiert (١) ، ويكاد يكون الاتفاق تاماً بينهم على هذا الاسم فيما عدا ميخائيل الاطاليتي (٢) الذي ذكرها باسم قريب جداً من هذا الاسم وهو Manzikert

وإذا رجعنا إلى المؤرخين المحدثين المهتمين بالدراسات البيزنطية ، مثل فازيليف ، استروجورسكي ، تومانوف ، برييه ، وهسي (٣) . نجدهم يجمعون على استعمال اسم Manzikert . وهكذا يجد الباحث نفسه

---

1. Constantinus Porphyrogenitus : De Thematis et de administrando Imperio, Bekkerus, Bonnae, Mdccc xl, p. 191—192

— Ioannis scylitzae Curopalatae : Excerpta Exbrevariario Historico, Webri, Bonnare, Mdcccxxxix, p.692.

— Ioannis zonarae : Epitomae Historiarum, weberi, Bonnae, Mdcccxcvll, Temus, libri xvlll, p— 697.

2. Michaelis Attalioetae : Historia, Emendatio, Bonnae, Mdccccllll, p. 166 .

3. Vasiliev : History of the Byeantine History, U.S.A., 1958, voll, P. 356.

— Ostrogorsky : History of the Byzantine State, translated By Hussey, oxford, 1968, p. 344.

— Toumanoff : The Background to Mantsikert, inproceedings of the xlll the international congress of Bygantine Studies, ed. Hussey, Obolensky, and Runciman, London, oxford university press, 1967, pp. 411 — 426.

— Brehier : Vie et mort de Byzance, paris, 1969, p. 231—233.

— Hussey : The later macedonians, the comneni and the Angeli 1025 — 1204. in C.M.H. vol lv., part I, ed. Hussey cambridge university press, 1966, p. 209.

أمام أسماء متعددة لهذه المدينة ، وان كنت أحيذاً لأخذ بما أجمع عليه المؤرخون المحدثون وهو اسم منزيكرت خاصة وانه أقرب الاسماء إلى التسمية البيزنطية لها

ولا يستطيع باحث في معركة منزيكرت أن يعرض لها دون أن يرجع للمؤرخ البيزنطي بسيللوس يستقى منه المعلومات التي تنير أمامه السبيل في هذا الموضوع ، ذلك ان بسيللوس هو أحد المؤرخين المعاصرين لهذه المعركة وكل ما أحاط بها من أحداث سياسية ، ليس ذلك فحسب ، بل لقد شارك بشخصه في صنع هذه الأحداث ، وقد دون بسيللوس تاريخ هذه المرحلة في مؤلفه التاريخي المعروف باسم Chronographie والذي تناول فيه عرض للأحداث السياسية التي وقعت في الفترة التاريخية الممتدة من عام ٩٧٦ وحتى عام ١٠٧٧ م .

ويقول المؤرخ استروجورسكي في تقييمه لهذا المصدر التاريخي . انه يعتبر في المرتبة الأولى من الأهمية فيما يتعلق بالفترة الزمنية التي تناولها ، وانه لا نظير له في قوة تأملاته ، ووصفه الحي ، وتحليلاته النفسية المميزة وتصويراته الذكية<sup>(١)</sup> ويتفق معه في هذا الرأي المؤرخ فازيليف (٢) .

والمعروف ان مجموعة بون البيزنطية المعروفة باسم

Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae

تضم أعمال المؤرخين البيزنطيين على اختلاف عصورهم التاريخية ، ولكن على خلاف العادة لم نعتز على هذا المصدر التاريخي لبسيللوس Chronographie ضمن مجموعة بون ، فهو لم ينشر بها ، وانما نشر على يد العالم الفرنسي رينول Renauld الذي نشر الأصل اليوناني مع ترجمة فرنسية في مجلدين ظهر الأول في عام ١٩٢٦ ، وظهر الثاني في عام ١٩٢٨ . ثم نشرت ترجمة انجليزية لهذا المصدر التاريخي نشرها Sewter وظهرت في عام ١٩٥٣ .

1. Ostrogorsky : op. cit., P. 316.

(2) Vasiliev : op. cit. Vol. 11, p. 368.

وقد اعتمدنا على الأصل اليوناني الذي نشره رينول (١)

وقد حرص بسيللوس على أن يعرض للأحداث السياسية التي تضمنها مؤلفه هذا بكافة التفاصيل الخاصة بها ، لذا فان الباحث يتوقع أن يمد بسيللوس بالكثير عن تفاصيل معركة منزيكرت .  
ولنعرض الآن لوثائق بسيللوس الخاصة بهذه المعركة ، يقول بسيللوس

XX. "Ο δέ με (οὐ) διέλαθεν, ἔλαθε τοῦτον. αὐτός δὴ ὁ σουλτάν, ὁ τῶν Περσῶν ἢ Κούρτων βασιλεὺς, συνὼν τῷ στρατεύματι καὶ τὰ πλείω τῶν κατορθωμάτων ποιῶν· εἰ δέ τις τῶτον ἐφώρασεν, ὁ δὲ οὐκ ἐπίστευε λέγοντι, ἀλλ' οὐδέ πέρην ἐβούλοτο, ἀλλ' ᾤετο αὐτοβοεῖ αἰρήσειν τὸ τῶν ἐναντίων στρατόπεδον. Τὸ δ' ἀστρατήγητον τούτου διεῖλε τὰς δυνάμεις, καὶ τὰς μὲν αὐτοῦ κατεῖχε, τὰς δὲ ἐπ' ἄλλο τι ἐξαποστέλλει, καὶ δέον ἔλω τῷ πλήθει τοῦ στρατεύματος τοῖς ἐναντίοις ἀντικαθίστασθαι, ὁ δὲ τῷ ἐλάττονι μέρει πρὸς αὐτοὺς ἀντετάξατο.

XXI. Τὸ δὲ μετὰ ταῦτα ἐπαινεῖν μὲν οὐκ ἔχω, ψέγειν δὲ οὐ δύναμαι, αὐτὸς τὸν ἔλον κίνδυνον δέχεται· τοῦτο δὲ μέσον ἐστὶν ἀντιρρήσεως· εἰ μὲν γὰρ ὡς φιλοκίνδυνον λογίσαιτό τις τὸν ἄνδρα καὶ ἀγωνιστὴν προθυμότατον, ἔχει ἄφορμὰς πρὸς ἐγκώμιον· εἰ δ' ὅτι, δέον κατὰ τὴν στρατηγικὴν ἀκριβείαν πόρρω ἴστασθαι, πρωτοστράτηγον τυγχάνοντα τοῦ στρατεύματος, καὶ τοῖς πλήθεσι ἐπιτάττειν τὰ δέοντα, ὁ δὲ ἀλογιστῶς παρεκινδύνευε, πολλὰ ἄν ἐς αὐτὸν ἀποσκόψκειεν· ἐγὼ δὲ μετὰ τῶν ἐπαινούτων, ἀλλ' οὐ τῶν αἰτιωμένων εἰμί.

XXII. "Ὀπλιστο μὲν οὖν τὴν στρατιωτικὴν πανοπλίαν, καὶ τὸ ξίφος ἐγύμνωσεν ἐπὶ τοὺς ἐχθρούς· ὡς δὲ ἐγὼ πολλῶν ἤκουσα, ὅτι καὶ πολλοὺς ἀνηρήκει τῶν ἐναντίων, τοὺς δὲ καὶ ἐς φυγὴν κατηνάγκασεν. Ἔτα δὴ ὅστις εἶη γνώριμος τοῖς ἐς αὐτὸν βέλλουσι γεγονώς, κύκλω τε ὑπὸ τούτων περιστοιχίζεται, καὶ ὀλισθαίνει μὲν τοῦ ἵππου βληθεὶς, εἶτα δὲ ἐαλόκει, καὶ δορυάλωτος εἰς τοὺς πολεμίους ὁ βασιλεὺς Ῥωμαίων ἀπάγεται, καὶ τὸ στράτευμα διαλύεται· καὶ τὸ μὲν διαφυγὸν μέρος βραχὺ τι, τῶν δὲ πλείονων οἱ μὲν ἐάλωσαν, οἱ δὲ μαχαίρας ἔργον γεγονάσιν.

1. Psellus : Chronographie, Collection Byzantine publiee sous le patronage de l'association tullaume Pudé. Serie par Renauld, paris 1928, Vol. 1.

2. Psellus : Chronographie, Vol. 11, pp. 161 — 162.

وترجمة هذه الوثائق باللغة العربية كما يلي :

«نما إلى علمي ان السلطان بنفسه الذي اسميه ملك الفرس والكرد كان هناك مع جيشه وهو السبب في صنع أكثر الانتصارات . إذا كان أحد قد تنبه إلى وجود السلطان وأخبر الامبراطور بذلك لم يكن ليصدق هذا الكلام . الامبراطور لم يكن راغباً في السلام ، وكان يحلم بأنه سوف يتمكن وخلال أول هجوم له من أسر جيش الاعداء . جهله بأستراتيجية الحرب دفعه إلى تقسيم قواته ، احتفظ ببعض قوات الجيش في مكانه وأرسل جزءاً من قواته إلى مكان آخر وفي الوقت الذي كان يتحتم عليه أن يقف مع جيشه بكامله ويتصدى للاعداء ، وقف مع الجزء الأكثر ضعفاً وأصدر اليهم أوامره بالمعركة .

الذي جاء بعد ذلك لا امتدحه ولا استنكره ، الامبراطور أدرك تماماً مدى الخطر ، الحذر يكون الحد الوسط بين الضدان (١) . إذا تأملنا هذا الملك بصفته رجل شجاع ومحارب مليء بالبسالة ، فانه سوف يمتدح . لكن إذا دققنا في تصرفه حينما يكون قائداً وبصفته رئيساً يجب عليه ادارة خطة وأبعاد الخطر ، واتباع قواعد الاستراتيجية ، فهو يجازف دون حساب للخطر ، لدرجة تعرضه للكثير من السخرية ، لكنني مع الذين يمتدحونه وليس مع الذين يدينونه .

بناء عليه ، كان مستعداً كمحارب بأسلحته كاملة ، وجرّد سيفه ضد الاعداء ، سمعت من أشخاص كثيرين انه قتل كثير من الاعداء، وأجبر الآخرين على الفرار . لكنهم قذفوه بالسهام ، وأحدقوا به في دائرة ضرب وسقط عن فرسه ، فتأكدوا من شخصيته وهو الآن أسير حرب بعيداً عند

---

(١) لعل بسلوس يقصد بهذا ان الحذر يكون الحد الوسط بين الضدان وهما الجبن والشجاعة

الأعداء ، وسبق امبراطور الرومان أسيرا . هلك جيشه ، جزء ضئيل  
لاذبالفرار ، الجانب الأعظم اما أسر أو وقع فريسة سهلة لسيوف الأعداء .

هذا فقط ما رواه بسيللوس عن معركة منزيكرت ، أما ما حدث بعد  
المعركة ويتعلق بمصير الإمبراطور رومانوس ديوجنيس ، والحرب الأهلية  
التي دارت بينه وبين الحزب المدني حتى استسلامه ، فقد رواه بسيللوس  
بأدق تفاصيله (١) .

ولنا ملاحظات عديدة على نصوص هذه الوثائق ، قبل أن نعرض لها ،  
لابد أن نعرض أولا للمعركة منزيكرت كما رواها المؤرخون البيزنطيون  
الآخرون ، وعلى رأسهم المؤرخان المعاصران ، والأول هو القربلاط يوحنا  
سكيليتزيس I Oannis Zcylitzae Curopalatae (١٠١٨ - ١٠٧٩)  
وكان يشغل منصب عميد القصر Curopalata ، وبحكم منصبه هذا  
وتردده على القصر اتيح له الاطلاع على وثائق هامة دونها في تاريخه (٢)  
الذي نشر في مجموعة بون البيزنطية تحت اسم Excerpta Excbreviario Historico

والثاني هو ميخائيل الاطاليتي Michaelis Attaliotae وهو  
ينسب لمدينة اطاليا في إقليم بامفيليه الذي يقع على الساحل الجنوبي لآسيا  
الصغرى . وكان ميخائيل يشتغل بالقانون وشغل عدة مناصب قانونية  
بالعاصمة حتى أصبح القاضي العسكري . وقد دون تاريخه كشاهد عيان  
للأحداث التي وقعت في الفترة الزمنية الممتدة من عام ١٠٣٤ - ١٠٧٩ م (٣)  
وتم نشره في مجموعة بون البيزنطية باسم Historia

(1) Psellus : chrouographie, vol, pp. 162 — 172.

(2) Haussing : Ahistory of byzantine civilisation, English Tran-  
slation, london, 1971, P. 341.

(3) Haussing : op. cit., p. 321

Ostrogsty : op. cit. p. 317.

أما المؤرخ زوناراس John Zonaras فقد كان قريب العهد من هذه الفترة التاريخية إذ أنه عاش في أواخر القرن الحادى عشر وخلال النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلاديين وقد شغل بعض المناصب الهامة فى القصر الامبراطورى أثناء عصر الامبراطور اليكسيوس كومنينوس (١٠٨١ - ١١١٨ م) ، ثم انسحب إلى أحد الاديرة وعكف على تصنيف كتاب فى التاريخ بدأه منذ الخليفة وانتهى به عند عام ١١١٨ م. (١) ونشر فى مجموعة بون البيزنطية باسم Epitomae Historiarum

كذلك سيتم الاستمارة بالمصادر العربية التى عرضت لهذه المعركة ، مع مقارنة أقوال المؤرخين بعضهم البعض الآخر ، من أجل الوصول للحقيقة التاريخية المجردة .

السلاجقة الذين خاضوا هذه المعركة ضد البيزنطيين يرجعون فى الأصل إلى الأغوز ويطلق عليهم أيضاً اسم التنزغز (التبائل المشركة) وعرفتهم المسلمون باسم الغز ، وأطلق عليهم البيزنطيين اسم UZI . وقال الامبراطور قسطنطين السابع أنهم مجاورون بلاد الخزر (٢) .

والغز من القبائل التركية ، وتم اتحادهم فى قبيلة واحدة فى القرن السادس الميلادى وامتدت أملاكهم من الصين إلى البحر الأسود ، وقد دخل الغز إلى البلاد الاسلامية فى نهاية القرن العاشر الميلادى (٣)

---

(1) Dolger : Byzantine Literature, in C.M.H. ed Hussey Vol Iv, partilcambrige, 1967, P. 237.

Haussing : op. cit., pp. 365 — 366.

Ostrogorsky : op. cit., P. 211.

(2) Constantinus Porphyrogenetus : op. cit. P. 164.

(٣) العرينى : المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ص ٣٠ - ٣١ .

والسلاجقة ينسون إلى زعيمهم سلجق بن ياكاك ، وقد اعتنقوا الدين الاسلامي في فترة متأخرة نسبياً سنة ١٠٠٠ م . وعرفوا بتحمسهم الشديد لعقيدتهم ، وفي القرن الحادى عشر الميلادى استقروا في اقليم ما وراء النهر وأخذوا بأسباب الحياة الاسلامية وادارتها . وقد اعترف بسطانهم الخليفة العباسى منذ البداية على أنهم من موالى أمير المؤمنين وفي عام ١٠٣٨ م : تم أول انصال بينه وبينهم فأرسل اليهم في نيسابور رسولا يحمل رسالة منه يذكرهم فيها بالله ويحملهم على رعاية عبادته وعمارة بلاده وقد اغتبطوا لذلك أشد الاغتباط . « وتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة » (١) .

وكان السلاجقة قد عينوا طغرلبك بن ميكائيل ملكاً عليهم في عام ١٠٣٧م ثم تطلعوا لاقامة دولة والاستفادة من الجهود العسكرية للتركان الذين كانوا محالفين لهم ، ويأترون بأمر طغرلبك ، فبدأ السلاجقة في التوسع غرباً على حساب ايران ، وبعد أن تم لهم امتلاكها امتد نشاطهم العسكرى نحو ارمينيا ، التى كانت تدين بالولاء للبيزنطيين في ١٠٤٥ م ، منذ عهد الامبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس (١٠٤٢ - ١٠٥٥) (٢) . وهكذا

(١) البندارى : تواريخ دولة آل سلجون ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، ج٢ ، ص ٦ .

الحسينى : زبدة التواريخ ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تصحيح محمد اقبال ، لاهور ١٩٣٣ ، ص ص ٣ - ٤ .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص ١٧٦ .

Vasiliev : op. cit., P. 466.

C.M.H. ed Bury. cambridge, 1926, vol iv, pp. 300 — 303.

(٢) فيما يتعلق بالصراع بين البيزنطيين وامراء ارمينيا حتى نجاح البيزنطيين في السيطرة عليها أنظر :

Toumanoff : Armenia and Georgia, in C.M.H., ed., Hussey, vol Iv, partll, cambridge, 1975, pp. 612 — 620.

كان لابد من الاحتكاك العسكرى بين الطرفين ، بعد أن وطد السلاجقة العزم على الاغارة على الممتلكات البيزنطية فى ارمينيا كجزء من خطتهم التوسعية من جهة . ، ولاشباع رغبتهم فى الجهاد فى سبيل الله واعلاء كلمة الاسلام من جهة أخرى ، ومن جهة ثالثة لكسب شعور العالم الاسلامى ، بعد أن يظهر امامه بمظهر المدافعين عن الاسلام ، الذين يدعون عن حماة فى الوقت الذى تقاعس حكام الشرق الأدنى وعلى رأسهم الخلفاء الفاطمية والعباسية فى هذه المرحلة التاريخية عن الوقوف فى وجه البيزنطيين وحماية المسلمين والأراضى الاسلامية من غاراتهم .

إذن فلم تكن معركة منزيكرت أول المعارك بين الطرفين وإنما سبقها معارك واشتباكات أخرى سواء على ساحة ارمينيا أو فى بلاد الشام (١)

ومما زاد فى خطورة الموقف بالنسبة للجانب البيزنطى أثناء صراعه مع السلاجقة ، ان الأباطرة البيزنطيين فى هذه المرحلة التاريخية وهى المرحلة التى تلت وفاة الامبراطور باسيل الثانى فى ١٠٢٥ م ، وحتى اعتلاء القائد رومانوس ديوجينيس العرش فى عام ١٠٦٨ م . لم يكونوا على مستوى المسئولية ، وإنما عرف عنهم الدعة وحياة اللهو والحمول كما أعتلى العرش فى تلك الفترة بعض النساء مثل زوى وثيودورا من الأسرة المقدونية ، وقد أدى كل ذلك إلى تفاقم الموقف فى بيزنطة واتاح الفرصة للسلاجقة للتفوق العسكرى على حسابها .

---

(١) أنظر تفاصيل الصراع بين الطرفين فى المرحلة السابقة لمعركة منزيكرت فى المصادر التالية :

- ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ص ١١ - ١٣ .
- ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٠٣ .
- راجع أيضاً :

Schlumberger : L'opopee Byzantine ala Fin du dixieme siecle, paris, 1 905, vol III. pp. — 600 — 610.

ما أن تولى رومانوس ديوجينيس عرش الامبراطورية في أول يناير ١٠٦٨ ، حتى وجد ضرورة وضع حد لغارات السلاجقة على الأراضى البيزنطية ، خاصة وهو القائد العسكرى الذى كان مدركاً تماماً لخطورة الموقف ، وأخذ يستعد لمنازلتهم ، وفى عام ١٠٦٨ قاد جيشه من اقليم قبادوقيا جنوباً حتى شمال الشام ، حيث حقق بعض النجاح على السلاجقة ، وفى عام ١٠٦٩ أرسل مساعده عسكرية إلى مدينة ميلتين (ملطية) التى تعرضت لغارة من جانب السلاجقة ، كما خرج بنفسه على رأس جيشه إلى أرمينيا ، لكن ضعف امكانياته العسكرية حال دون تحقيقه أى نصر عسكرى على السلاجقة ، الذين اخذوا يراوغونه واستولوا على العديد من المدن حتى قونيه Iconium وخوناي chonae غرباً (٢) .

وفى عام ١٠٧٠ م . تقدم السلطان الب ارسلان إلى ارمينيا واستولى على مدينتى خلاط (١) ومنزىكرت (٢) .

وفى عام ١٠٧١ حدثت معركة منزىكرت بين البيزنطيين والسلاجقة ، وكان الامبراطور رومانوس ديوجينيس هو الذى اتخذ جانب المبادرة

---

(2) Zonaras : op. cit., pp. 650 — 695.

(١) هذه المدينة ذكرتها المصادر البيزنطية باسم Chaliat ، ووصفها أبو الفدا بقوله أنها «فى مستو من الأرض ولها بساتين كثيرة ولها عدة أنهر تأتيها على شبه أنهار دمشق ، وليس يدخل المدينة منها الا الشئ اليسير ولها سور خزاب وهى فى قدر دمشق وبردها شديد والجبال عنها على أكثر من مسيرة يوم . قال ابن حوقل هى بلد صغير عامر خصب كثير الخير قال فى العزيزى وبينها وبين ملازجرد سبعة فراسخ واجل مدينة بارمينيه خلاط وذكرها جليل الشهرة راجع :

Constantinus porphyrogenitus : op. cit. p. 191 — 192.

Icannis scylitzae : op. cit. p. 692.

أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

(٢) ابن القلائسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ص ٩٩ - ١٠٠ نقلا عن سبط ابن الجوزى

Toumanoff : op. cit, p. 620

بالمهجوم في هذه المرة فاستعد استعداداً كبيراً وخرج من القسطنطينية في ١٣ مارس ١٠٧١ على رأس جيش قدره المؤرخ ابن العديم بثلاثمائة ألف أوزيرون (١) ، أما ابن الأثير فقدرة بمائتي ألفاً (٢) .

أما سبط ابن الجوزي ، فقدرة بمائة ألف مقاتل (٣) ، وربما كان هذا أقرب إلى الحقيقة (٤) .

وقد بلغ من شدة ثقة الامبراطور بالنصر انه وزع البلاد التي سيفتحها على قادة جيشه ويقول سبط ابن الجوزي في هذا الشأن : «وكان قد أقطع البطارقة البلاد مصر والشام وخراسان والرى والعراق ، واستثنى بغداد وقال : لا تتعرضوا لذلك الشيخ الصالح فانه صديقتنا (يعني الخليفة) . وكان عزمه يشي بالعراق ويصيف بالعجم» (٥) .

وكانت الفرق البيزنطية في هذا الجيش تحت قيادة اندرونيكوس دوقاس ، وهو ابن التيصر يوحنا دوقاس احد زعماء الحزب المدني بالعاصمة وشقيق الامبراطور الراحل قسطنطين العاشر دوقاس (٦) . . وكانت هذه الفرق البيزنطية مدعمة بقوات من الولايات الشرقية للامبراطورية مثل فريجيا وقبادوقيا ، وكذلك قوات من الأقاليم الأوروبية التابعة للامبراطورية مثل مقدونيا وبلغاريا ، وحشود ضخمة من المرتزقة ذكر المؤرخون

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٠٩ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ ، نقلا عن سبط ابن الجوزي

(4) Gibbon : Decline and fall of the Roman Empire, u.s.a 1976, vol 6, p. 14.

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٣ نقلا عن سبط ابن الجوزي .

(6) Ioannis Scylitza; op cit p. 698

Zonaras : op. cit. p. 701.

البيزنطيون (١) ، أنهم من الغزو الفرنجية (٢) . وكان تعداد الغز في هذا الجيش ١٥ ألف ، والفرنجية ٣٥ ألف مقاتل (٣) .

أما المؤرخون المسلمون فذكروا ان هذه القوات كانت من الروم ، والروس ، والخزر واللان ، والغز ، والقفقج ، والكرج ، والانجاز ، والفرنج ، والأرمن (٤) .

وهكذا نجد أن الجيش الذي قاده الامبراطور رومانوس ديوجينيس لم يكن من عنصر واحد ، وانما تكون من عناصر مختلفة وخاصة من المرتزقة ولم يكن ديوجينيس بطبيعة الحال ، هو أول من استعان بالمرتزقة في جيشه ، وانما كان ذلك من الأمور المستخدمة والشائعة في الجيش البيزنطى على امتداد التاريخ البيزنطى كله ، بل وأكثر من ذلك فان الرومان هم الآخرون قد استخدموا الجنود المرتزقة في جيوشهم منذ أقدم العصور (٥) .

---

(1) Ioannis scylitzae : op. cit., p. 691, Zonaras : op. cit; p. 689

(٢) كان هذا الاسم يطلق على كل العناصر التي تقطن غرب أوروبا وقتذاك . انظر :  
Vasiliev : op. cit., vol 1, p. 356.

(٣) ابن الجوزى : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، الطبعة الأولى ، حيدرآباد ، ١٣٥٩ هـ  
ص ٨٦ ، ص ٢٦١ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ص ٢٤ - ٢٥ .

ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ١٠٩ .

وبخصوص التعريف بهذه الأسماء راجع ابن العديم ، نفس المصدر ، حواشى صفحتى ٢٤ - ٢٥  
(٥) راجع عن ذلك المراجع التالية :

— Rostovtzeff : AHistory of the Ancient world,  
oxford, 1928, vol 2, p. 323.

— Sinnigen : AHistory of Rome to A.D. 565,  
U.S.A. 1977. PP. 435 — 436.

— Reid : The Reorganisation of the Empire in C.M.H. ed Bury,  
cambridge, 1975, Vol, PP. 44 — 46.

— Ostrogorsky : op cit., pp. 79, 92, 332, 344, 354, 358, 370,  
393, 483, 492.

وقد سلك الامبراطور بجيشة طريق ارمينيا ، وحينما وصل إلى قاليقلا ، وهى بالقرب من خلاط ، وصلت اخبار خروجه إلى السلطان الب ارسلان الذى كان قد فرغ لثبوه من حصار مدينة حلب وانتزعها من يد الفاطميين ، ويتفق المؤرخون المسلمون على أن السلطان كان فى بلاد اذربيجان حين وصله نبأ خروج الامبراطور البيزنطى ، ولم يكن مع السلطان الب ارسلان الا خمسة عشر ألف فارس أما باقى جيشه فقد كان بعيداً عنه (١) ، ورغم ذلك فقد أثر السلطان ان يذهب لقتال البيزنطيين خوفاً من عبثهم بالبلاد الاسلامية ، فسير زوجته مع وزيره نظام الملك ، وأوصى بأن يكون تولى عهده ابنه ملك شاه خليفة له إذ أحدث له مكروه ، فقال لوزيره ووجوه جنده : «أنا صابر فى هذه الغزاة صبر المحتسبين وصائر اليه مصير المخاطرين فان سلمت فذاك ظنى فى الله ، وأن تكن الأخرى فأنا أعهد اليكم ان تسمعوا لولدى ملك شاه وتطيعوه وتقيموه مقامى وتملكوه عليكم ، فقد وقفت هذا الأمر عليه ورددته اليه» (٢)

اتخذ السلطان طريقه حتى وصل بالقرب من خلاط ، وهناك التقى ببعض القوات البيزنطية الاستكشافية وكانت تحت قيادة الدوقس باسيلاكىوس Basilacius فقام الاتراك بعمل كمين لهذه القوات ونجحوا فى الايقاع بها والقضاء عليها بأكملها ، وقبض على باسيلاكىوس فأمر السلطان بجدع أنفه وأرسل الاسلاب إلى نظام الملك وأمره ان يرسلها إلى بغداد مبشراً

(١) ابن العديم : زينة الحلب ، ج٢ ، ص ص ٢٣ - ٢٤ .

ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ١٠٩ .

الحسينى : زينة التواريخ ، ص ٤٧ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

## بالفتح . (١)

وصل الامبراطور بقواته إلى خلاط وهناك قسم جيشه إلى قسمين ، ترك أحدهما وكان معظمه من الفرنجة تحت قيادة أحد القادة ذكرته المصادر البيزنطية باسم Ruselius وهو القائد النورمانى روسيل باليول Rusel of Balioi وأمرهم بحصار المدينة حتى يتم الاستيلاء عليها ، أما باقى الجيش فقد سار مع الامبراطور حتى مدينة منزيكرت حيث تقوا الحصار عليها ولكن الأهالى سلموها اليه خوفاً من بطشه بهم إذا أستولى عليها عنوة . وكان ذلك فى يوم الثلاثاء ١٦ أغسطس ١٠٧١ (٤ ذى القعدة ٤٦٣ هـ) (٢)

اقتنى السلطان وقواته أثر الجيش البيزنطى حتى التقوا به بالقرب من منزيكرت فى مكان يقال له الرهوة وهى صحراء تقع بين منزيكرت وخلاط ويجمع المؤرخون المسلمون على أن السلطان ارسل للامبراطور رومانوس ديوجينيس يطلب منه الهدنة وكان ذلك يوم الأربعاء ٥ ذى القعدة ٤٦٣ (١٧ أغسطس ١٠٧١) (٣) أى قبل المعركة الفاصلة بيوم واحد .

(1) Ioannis Scylitzae : op. cit. p. 694.

Zonaras : op. cit., p. 698.

ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٦١ .

ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٠٩ نقلا عن سبط بن الجوزى .

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ .

(2) Ioannis Scylitzae : op. cit., PP. 691 — 692.

Zonaras ; op. cit., P. 699.

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٦١ .

ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٠٩ .

الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٩ .

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ .

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن السبب الذي من أجله ارسل السلطان  
يطلب الهدنة من الامبراطور؟

ان المؤرخين الذين تعرضوا لهذه الحادثة لم يذكروا السبب ، أما المؤرخ  
ابن العديم فيسوق سبباً غير مقنع فيقول : (فارسل السلطان رسولا حملة  
سؤالا وضراعة ومقصوده أن يكشف أمرهم ويختبر حالهم ، ويقول للملك  
الروم : (ان كنت ترغب في الهدنة آتمناها ، وان كنت ترهد فيها وكلنا  
الأمر إلى الله عز وجل) (١)

إذن فابن العديم يرى أن السلطان لم يكن جاداً في طلب الهدنة وانما كان  
هدفه أن يكشف الرسول الذي أرسله مدى الاستعدادات العسكرية لدى  
البيزنطيين ولكنني لا أوافق ابن العديم فيما ذهب اليه ، وأرى ان السلطان  
كان جاداً بانفعل في طلب الهدنة وذلك استناداً على ما رواه باقي المؤرخين  
الذين عرضوا لهذه الحادثة (٢)

أضف إلى ذلك ان ابن العديم نفسه قد ذكر ان السلطان لم يكن يجهد  
عظم القوات التي خرج بها الامبراطور البيزنطي ، فقال في بداية سرده  
لحادثة خروج الامبراطور إلى بلاد المسلمين : «وقصد (السلطان) ملك الروم  
وأسرع في السير لأنه بلغه ان ملك الروم خرج في جموع لا تحصى » (٣)  
وهو ما يؤكده كذلك المؤرخون الذين سبقت الاشارة اليهم .

وان كان السبب الذي طلب السلطان من أجله الهدنة في الغالب يرجع  
إلى أنه لم يكن في حالة الاستعداد الكامل لمواجهة البيزنطيين في معركة

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٢٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٦١ .

ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ١٠٩ .

الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٤٩ .

ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ نقلا عن سبط ابن الجوزي

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٢٣ .

كبيرة كتلك التي استعد لها الامبراطور ، فقد سمع بنياً خروج الامبراطور للبلاد الاسلامية وهو في طريقه إلى بلاده في همدان ، وكان في خاصة جنده ولم يتيسر له بجمع باقي الجيش لبعده المسافة بينه وبينهم ، كما سبق أن أوضحنا ذلك في موضعه ، لذا فالمرجح ان السلطان خشى عاقبه الهزيمة إذا اقتتل مع جيش الأعداء وهو في هذا العدد القليل من جنده ، فاراد الهدنة حتى تتاح له فرصة الاستعداد الجيد للمعركة .

أضف إلى ذلك ان السلطان ألب ارسلان كان مشغولاً في هذه الفترة بموضوع الفاطميين الشيعة ، وكان لديه مشروعات عسكرية ضدهم خاصة بفتح بلادهم في الشام ومصر والقضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية ، وهو الأمر الذي عزم عليه السلاجقة السنة منذ بداية ظهورهم في منطقة الشرق الأدنى ودخولهم العراق في عام ١٠٥٥ م (١)

وقد واصل السلطان الب ارسلان جهود سلفه طغر لبيك ضد الفاطميين وفي عام ١٠٧١ نزل السلطان الب أرسلان محاصراً لمدينة حلب وكان واليها من قبل الفاطميين صالح بن مرداس ، الذي خلع السيادة الفاطمية واعترف

---

(١) انظر تفاصيل الصراع بين الفاطميين والسلاجقة منذ بداية ظهورهم بمنطقة الشرق الأدنى في المصادر التالية :

الشيرازي : السيرة المؤيدية ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٦٠٥٦ ص ١٤٢

البندياري : تاريخ دولة آل سلجوق ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، ص ١٢ .

الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٨ .

ابن الأثير : الكامل ، ٩ ، ص ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٢٧١ .

راجع كذلك :

سرور : الفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، القاهرة ٩٦١ ، ص ١١٠ .

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب القاهرة

١٩٥٨ ، ص ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

## بسلطة السلطان السلجوقي (١)

وهكذا وجد لدى السلطان الب أرسلان أكثر من سبب دفعه لمحاولة عرض الهدنة على الامبراطور البيزنطى حتى تتحسن ظروفه فى المستقبل ويكون فى موقف أفضل يمكنه من منازلته والانتصار عليه .

على أية حال ، فان الامبراطور رومانوس ديوجينيس رفض قبول الهدنة ، وأصر على الحرب ، وربما اراد أن ينتهز فرصة عدم استعداد السلاجقة للمعركة وانشغالهم بموضوع الحرب ضد الفاطميين للتغلب عليهم واسترجاع الممتلكات البيزنطية التى تم لهم فتحها . وقد أورد المؤرخ ابن الجوزى نص رد الامبراطور على رسالة السلطان وكان كالتالى : «انى قد انفقت الأموال الكثيرة وجمعت العساكر الكثيرة للوصول إلى مثل هذه الحالة ، فاذا ظفرت بها فكيف أتركها هيئات لا هدنة الا بالرى ولا رجوع الا بعد أن أفعل ببلاد الاسلام مثل ما فعل ببلاد الروم» (٢)

كان من الطبيعى أن تنقطع المراسلة بين الطرفين ، بعد هذه الاجابة التى رد بها الامبراطور البيزنطى على رسالة السلطان السلجوقي ، وصمم السلطان على خوض المعركة مع البيزنطيين ، واتفق السلاجقة على خوض المعركة الفاصلة يوم الجمعة بعد صلاة الظهر والناس يدعون للمجاهدين

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ص ٢٢٠ - ٢٢٣ .

ابن الأثير : الكامل فى تاريخ ، ج٨ ، ص ١٠٩ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٦١ .

راجع أيضاً :

ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٢٧ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص ١٩٠

الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٩ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢

فقلا عن سبط ابن الجوزى .

بالنصر . (١)

أخذ الجانبان البيزنطى والسلاجوقى يستعدان للمعركة ، ولكن حدثت عدة أمور على جانب كبير من الخطورة أساءت للجانب البيزنطى اساءة كبيرة

فقبل بداية المعركة بساعات ، وفى ليلة الجمعة وعند منتصف الليل تماماً كما يذكر المؤرخون البيزنطيون ، انسحبت قوات الغز المصاحبة للجيش البيزنطى تحت جنح الظلام ، وانضموا لجيش السلاجقة ، وعرض المؤرخ زوناراس لهذه الحادثة بقوله :

Hoc modo nocte illa exacta, mane uzorum quaedam cohors ad Turcos transfugit (2).

ولكى نفهم هذا التصرف من جانب الغز ، يجب أن نعلم ان صلة الأصل الواحد والعصبية القبلية ، كانت عامل الربط أولاً وقبل كل شىء ، بينهم وبين السلاجقة ، ويبدو انه عز على الغزان يقتتلوا مع ابناء عمومهم السلاجقة لمصلحة طرف ثالث غريب عنهم ، فانفصلوا عن الجيش البيزنطى .

وقد ملاً تصرف الغز هذا نفس الامبراطور رومانوس ديوجينيس بالشك والريبة فى ولاء باقى عناصر المرتزقة ، وقد اثبتت الأحداث التالية صدق شغوره ، ذلك أن الامبراطور أرسل على وجه السرعة لاستدعاء القوات التابعة للجيش البيزنطى والمحاصرة لمدينة خلالا فى محاولة لتعويض

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، ٨٨ ، ص ٢٦١ .

ابن العديم : زبدة الحلب ، ٢٧ ، ص ٢٧

الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٩ .

(2) Zonaras : op. cit.: p. 699.

Ioannis Scylitzae : op. cit. pp. 695 — 696.

النقص الذى سببه انسحاب الغز وكما سبق أن ذكرنا كانت هذه القوات من الفرنجة بقيادة روسيل باليول ، ولكن هذه القوات رفضت تنفيذ أوامر الامبراطور ، ورفضت الانسحاب من أمام خلاط (١) ، ولم يترك السلاجقة للامبراطور أية فرصة للتصرف ، وحسب خطتهم بدأوا هم بالهجوم وأشعلوا المعركة الفاصلة وكان ذلك بعد صلاة الجمعة يوم ٧ ذى القعدة سنة ٤٦٣ هـ (١٩ أغسطس ١٠٧١ م) (٢) .

وقد حارب الامبراطور رومانوس ديوجنيس بشجاعة وبسالة شهد له بها جميع المؤرخين الذين تناولوا المعركة حتى بسيلوس نفسه ، ولكن مما أساء إلى موقفه اساءة بالغة ما حدث بعد ذلك ، فانه فى أوج اشتعال المعركة أخذ قائد الفرق البيزنطية اندرونيكوس دوقاس ، ينشر الاشاعات المغرضة بين صفوف الجند ، ومزوداها أن الجيش البيزنطى هزم وعليهم أن يسارعوا بانقاذ أنفسهم بالفرار ، فأخذ الجند يفرون طالبين السلامة لأنفسهم ، وساد الهرج بينهم مما أتاح للسلاجقة الفرصة لقتل وأسر الكثيرين منهم ، وأخذ اندرونيكوس الفرق البيزنطية التى تحت أمرته وسارع بالفرار ، وترك الجميع

---

(1) Ioannis Scylitzae : op. cit., P. 6965.

gibbon : op cit; vol. 6, p. 15.

(٢) ذكر المؤرخ ابن الأثير هذه المعركة فى حوادث سنة ٤٦٤ هـ. ولم يذكر تاريخ اليوم بالتحديد ، ولكن الأصح ما ذكره كل من ابن العديم وابن الجوزى ، والحسينى ، وسبط ابن الجوزى من حدوث المعركة فى ذى القعدة ٤٦٣ هـ ، وهو يوافق أغسطس ١٠٧١ ، أنظر : ابن الأثير : الكامل ، ٨ ، ص ١٠٩

ابن العديم : زبدة الحلب ، ٢ ، ص ص ٢٧ - ٢٨ .

ابن الجوزى : المنتظم ، ٨ ، ص ٢٦٠ .

الحسينى : زبدة التواريخ ، ص ٤٩ .

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٢ ، نقلا عن سبط ابن الجوزى .

راجع كذلك .

Ostrogorsky : op. cit. P. 344.

الامبراطور مع قلة من أتباعه في أرض المعركة ، ورغم ذلك ظل يقا تل حتى سقط عن فرسه ، وحين عرف السلاجقة شخصيته إقتادوه أسيراً إلى خيمة السلطان الب أرسلان (١)

وكان الامبراطور رومانوس ديوجنيس أول وآخر امبراطور بيزنطى يقع أسيراً في يد المسلمين على امتداد التاريخ البيزنطى كله ، وقد غنم المسلمون غنائم كثيرة وعدداً وافره ويقول سبط ابن الجوزى في هذا الشأن : «وغنموا (المسلمون) أموالهم بحيث تقاسموا الذهب والفضة بالرطل» (٢)

أما ابن العديم فيقول : «وغنموا (المسلمون) ما لا يعد كثرة ولا يحصى عدداً وعدة .. وكانت مع الروم ثلاثة آلاف عجلة تحمل الاثقال والمنجنقات وكان من خملتها منجنيق بثمانية أسهم تحمله مائة عجلة ، ويمد فيه ألف ومائتا

---

(١) تعرض المؤرخ البيزنطى المعاصر سكيليتزس لهذه الخيانة بقوله :

“A ndronicus caesaris filius imperatoris, patruelis ante meditatatus insidias, ipse per se talem famam disseminavit, et cum milibus quos habebat cit ad castra se contulit, quem reliqui quoque imitati ad unum omnes . fugere;”

Ioannis scylitzae : op. cit; P. 698.

وذكر نفس المعنى المؤرخ المعاصر ميخائيل الاطالياتى ، أنظر :

Michalis A ttaliottae : op. cit, P. 168.

أما المؤرخ زوناراس فيوضح الخيانة وما ترتب عليها من فرار الجند البيزنطيين وتركهم الامبراطور في ساحة المعركة ، ووقوعه أسيراً في يد الأعداء فيقول :

„Is igitur Andronicus, cum non minima exercitus parti imperaret, statim cum suis equo concitato in vallum rediit, quae res ceteros quoque in fugam convertit, Quous cum ita perurbate reverti videret rex, substerent sed obsurduerant omnes nec fugam remittebant cum antem hostes inopinatum Romanorum; fugam ex divina ira coortam intellexerent, megem statim invaserunt”.

Zonaras : op. cit., p. 701.

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ١٠٠ ، نقلا عن سبط ابن الجوزى .

رجل ، وزن حجرة بالرطل الكبير قنطار ، وحمل العسكر من أموالهم ما قدروا عليه ، وسقطت قيمة المتاع والسلاح والكراع ، حتى بيعت اثنتا عشرة خوذة بسدس دينار » (١) .

وقد أورد المؤرخون المسلمون (٢) وبعض المؤرخين البيزنطيين مثل سكيلتزييس (٣) ، الحديث الذي دار بين السلطان الب ارسلان والامبراطور الأسير رومانوس ديوجنيس .

وقد ونحه السلطان في بداية الأمر لعدم قبوله الهدنة ثم أكرمه بعد ذلك وعقدت اتفاقية بينهما نصت على الشروط التالية : (٤)

١ - يدفع الامبراطور فداء لنفسه مليون ونصف مليون دينار (ألف ألف وخمسمائة ألف دينار) .

٢ - يدفع البيزنطيون للسلطان السلجوقي مبلغ ٣٦٠ ألف دينار جزية كل عام .

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ذ ٢ ، ص ٢٨٩ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ذ ٨ ، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٤ .

ابن العديم : زبدة الحلب ، ذ ٢ ، ص ص ٢٩ - ٣٠ .

ابن الأثير : الكامل ، ذ ٨ ، ص ١١٠ .

(3) Ioannis Scylitzae : op. — cit, pp. 700 — 701.

(٤) أنظر نصوص الاتفاقية في المصادر التالية :

Michaelis Attaliothae : op. cit., 166.

ابن الجوزي : المنتظم ، ذ ٨ ، ص ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق ، احاشية ص ١٠٣ ، نقلًا عن سبط ابن الجوزي .

ابن العديم : زبدة الحلب ، ذ ٥ ، ص ٣٠ .

ابن الأثير : الكامل ، ذ ٨ ، ص ١١٠ .

- ٣ - اطلاق سراح الاسرى المسلمين الموجودين بالبلاد البيزنطية .
- ٤ - ارسال الجيوش البيزنطية للخدمة العسكرية مع جيوش المسلمين إذا اقتضت الضرورة وفي أى وقت يطلبها السلطان .
- ٥ - خمل الألفاظ والتحف إلى السلطان .
- ٦ - ان تكون مدة الهدنة بين الطرفين على هذه الشروط لمدة خمسين عاماً .

وبعد التصديق على هذه الاتفاقية من الجانبين ، شيع السلطان بنفسه الامبراطور ليعود إلى بلاده ، وقد بلغ من كرم اخلاق السلطان الب ارساله أنه رفض أن يترجل له الامبراطور عند وداعة ، وعانقه مودعاً .

وقد سارع الحزب المدني بالعاصمة البيزنطية باعلان نبأ وفاة الامبراطور ديوجنيس في معركته مع السلاجقة ، أو على الأقل أسرة لفترة طويلة . وعلى الفور ، انتقل القيصر يوحنا دوقاس من أملاكه في آسيا الصغرى إلى القسطنطينية حيث أخذ هو وبسيلوس في تصريف شئون الحكم . وحين علما أن ديوجنيس في طريق العودة للعاصمة ، صمما على مقاومته والحيلولة دون عودته ، واكبي يسدا الطريق أمامه أوغزا إلى مجلس الشيوخ باعلان ميخائيل السابع صاحب الحق الشرعى فى العرش ، امبراطوراً ، وكان ذلك فى ٢٤ اكتوبر ١٠٧١ (١) .

كانت تلك هى معركة منزيكرت كما روتها المصادر البيزنطية والعربية وبمقارنة وقائع المعركة كما أوردتها هذه المصادر بالنصوص التى أوردتها المؤرخ البيزيطى المعاصر بسيلوس ، يتضح ان هذا المؤرخ قد أورد المعركة

بصورة مبتورة ومشوهة وحاول جاهداً القاء مسئولية الهزيمة على عاتق الامبراطور رومانوس ديوجنيس وحده ، واخفى الكثير من الحقائق التي كانت مسئوله إلى حد كبير عن الهزيمة في منزيكرت ، ومن أمثلة ذلك مايلي :

(أولاً) لم يذكر تخلي الغز عن الجيش البيزنطي وانضمامهم للاتراك السلاجقة ، خاصة وان الغز كانوا يمثلون قوة لا يستهان بها في الجيش ، وبلغ عددهم ١٥ ألف مقاتل كما سبق أن ذكرنا ذلك في موضعه .

(ثانياً) اغفاله لاستدعاء الامبراطور رومانوس ديوجنيس لفرق الجيش المحاصرة لخلاط ، ورفض هذه الفرق الاستجابة لأوامر الامبراطور

(ثالثاً) أهم من ذلك كله اغفال بسيللوس لحيانة أندرونيكوس دوقاس ونشره الاكاذيب المضللة والاشاعات المغرضة عن هزيمة الجيش محرضاً بذلك الجند على الفرار وانسحابه من المعركة وفراره بجنوده ، وقد تحدث المؤرخون البيزنطيون عن هذه الحيانة واعتبرها عدد كبير من المؤرخين المحدثين أهم أسباب هزيمة الامبراطور ديوجنيس في معركة منزيكرت وأذكر منهم على سبيل المثال المؤرخون جيبون ، استروجورسكي ، فازيليف وهسي (١) .

ولم يكتف بسيللوس باغفاله لهذه الحيانة ، وانما راح في موضع آخر ، وعند سرده للأحداث التالية لهزيمة ديوجنيس في منزيكرت ، يكيّل المديح

---

(19) Gibbon : The Decline and Fall of The Roman Empire, vol 6, p. 16.

Ostrogorsky : History of the Byzantine Empire, p. 344 Vasiliev History of Byzantine Empire, vol; p. 356. Hussey : op cit., p. 209.

Vryonis : Byzantium and Europe, London, 1967, pp. 133—134.

لاندرونيكوس دوقاس ويصفه بقوله : (١)

XXXVI. Τούτου μὲν δὴ τοῦ μέρους ἀφόμενος, ἐξ ἀνάγκης ὁ βασιλεὺς τῷ Ἀνδρονίκῳ δούς τὰ στρατεύματα. ὁ πρεσβύτερος δὲ οὗτος τῶν υἱῶν τοῦ καίσαρος ἦν, ἀνὴρ καὶ τὴν ἡλικίαν ἀξιοθέατος καὶ τὴν γνῶμην ἐλεύθερος, τὴν τε ψυχὴν εὐμενῆς καὶ ἐπιεικέστατος, ξυμπάσης τε τῆς ἔω τὴν ἀρχὴν πιστεύσας ἐπὶ τὸν Διογένην ἐκπέμπεσ'.

يصف بسيللوس اندرونيكوس بقوله : «انه رجل ذو بنيه رائعه ، وروح حرة ، وخلق طيب ومتسامح إلى أبعد الحدود ؛» . ويوضح ان الامبراطور ميخائيل السابع الذي خلف ديوجنيس على العرش البيزنطي قد عينه قائداً عاماً على كل جيوش الشرق (٢) . وأرسله لمحاربة ديوجنيس

وقد نفذ اندرونيكوس المهمة التي أسندت اليه وذهب على رأس قواته لمحاربة ديوجنيس وكأنه عدو ، فاستعان ديوجنيس بمساعدة الأتراك السلاجقة ، وتقاتل الطرفان ، وعند مدينة أدنه في إقليم قيليقية اتفق على أن يسلم ديوجنيس نفسه مقابل الإبقاء على حياته ، وضمن له ذلك نيابة عن الامبراطور ثلاثة مطارئة هم مطارئة خلقيدونية وهرقلية وكولونيا :

... erant hi chalcedonis archiepiscopus et Heraclae et coloniae.

ولكن قبل أن تطأ قدمه أرض القسطنطينية ، لم يسلم من مؤامرات الحزب المدني ، فنكث الامبراطور ميخائيل بوعدده بايعاز من بسيللوس ، وسملت عيني ديوجنيس ونفي إلى جزيرة بروت Protia Insula في بحر مرمرية ،

(1) Psellus : Chronographie : Tomell, p. 168.

(٢) ذكر المؤرخ البيزنطي المعاصر ميخائيل الأطلباتي كذلك حادثة تعيين اندرونيكوس قائداً عاماً (دمستقا) لجيوش الشرق فقال :

„Andronicus praeses primus et designatus domesticus orientis”.

انظر :

Michaelis Attalioetae : Historia, p. 173.

ولم يتحمل ديوجينيس كل هذه المآسى التى تعرض لها فتوفى بعد قليل فى عام ١٠٧٢ (١) .

وهكذا تتضح الأمور ، فقد قبض أندرونيكوس دوقاس بمن خيانتته للامبراطور ديوجينيس ، وبدلاً من عقابه على تصرفه وخيانتته ، كوفىء ورفى إلى أكبر منصب عسكري فى الامبراطورية وهو قائد جيوش الشرق .

وهذا يدفعنا إلى القول ان الأمر لابد وأن يكون متفقاً عليه بين الحزب المدنى وبين أندرونيكوس دوقاس لخيانة الامبراطور ديوجينيس أثناء معركته مع السلاجقة كوسيلة للقضاء على ديوجينيس وابعاده عن العرش البيزنطى .

ومما يؤيد وجهة نظرنا هذه ان بسيللوس قد أرسل إلى الامبراطور المخلوع ديوجينيس بعد تكحيله رسالة خاطبه فيها بلفظ (ضحيتى) ، وأوضح له فى رسالته انه مثل الشهيد المحظوظ الذى حرمه الله من نور بصره لأنه وجدته مليئاً بالنور الالهى (٢) .

والواقع ان المؤامرات التى حاكها الحزب المدنى ضد شخص رومانوس ديوجينيس انما كانت فى حقيقة الأمر تامر على سلامة وأمن الامبراطورية البيزنطية نفسها ، فبعد هزيمة البيزنطيين فى معركة منزيكرت وابعاد ديوجينيس عن العرش أصبحت اتفاقته مع السلاجقة لاغية ، وقد اتخذ السلاجقة ذلك ذريعة للهجوم على الممتلكات البيزنطية وفى الفترة من ١٠٧١

---

(1) Ioannis Scylitzes : op. cit; pp. 702 — 705.

Michaelis Attalioae : Historia, pp. 177 — 179.

Zonaras : Epitomae Historiarum, p. 706.

(2) Ostrogorsky : op. cit., P. 345.

Haussing : A history of Byzantine civilisation, pp. 323 — 324.

وهو تاريخ معركة منزيكرت ، وحتى ١٠٨١ عند اعتلاء الامبراطور اليكسيوس كومنينوس للعرش البيزيطى (١٠٨١ - ١١١٨) أخذ السلاجقة يتقدمون على حساب الممتلكات البيزنطية فى آسيا الصغرى ، وانتشروا بها فى كل مكان ، فى قونيه ، نيقية ، كريسوبوليس ، خلقيدونية ، ولم يعد يفصل بينهم وبين القسطنطينية سوى مضيق البوسفور ، وانتهى الأمر بتأسيسهم لسلطنة الروم ، التى اتخذوا قونيه عاصمة لها .

ومما ساعد على تقدم السلاجقة ، الخلافات والحروب الأهلية التى نشبت بين البيزنطيين عقب اختفاء ديوجينيس من مسرح الحكم ، وقد استدعى البيزنطيون بأنفسهم السلاجقة لمساعدتهم فى حروبهم الأهلية مما فتح الباب على مصراعيه لهم للتقدم على حساب الممتلكات البيزنطية فى آسيا الصغرى ولم يكن لدى البيزنطيين لا القوة ولا الرغبة لمقاومة هذا الزحف المستمر على ممتلكاتهم .

ولم يعد المؤرخ فازيليف عن الحقيقة حين قال : «هزيمة منزيكرت كانت الموت العاصف للسيادة البيزنطية فى آسيا الصغرى ، وخاصة الاقاليم الجوهريّة للامبراطورية البيزنطية» (١)

أما المؤرخ الألماني جلزر Gelzer فقد نعت معركة منزيكرت بأنها «ساعة الموت للامبراطورية البيزنطية العظيمة» ويستطرد قائلاً : «نتائجها كذلك بكل أوجهها الكريهة لم تظهر فى آن واحد ، شرق آسيا الصغرى ، ارمينيا وقبادوقيا - وهى الولايات التى كانت مسقط راس الكثير من الأباطرة المشهورين والأقوياء الذين ثبتوا عظمة الامبراطورية - فقدت كذلك ، والاتراك نصبوا خيامهم البدوية على حطام مجد الامبراطورية القديم ، مهد الحضارة سجدت للبرابرة المسلمين ، واكتملت

---

(1) Vasiliev : op. cit., vol., p. 356.

## البربرية» (١)

وقد ازعج تقدم السلاجقة هذا ، الامبراطور ميخائيل السابع ، ولما كان الجيش البيزنطى قد دمر خلال معركة منزيكرت ، فقد لجأ ميخائيل للبابا جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥) طالباً المساعدة العسكرية ضد الأتراك السلاجقة ، ووعد البابا بأنه سيقابل تلك المساعدة العسكرية فانه سوف يعمل على اتحاد كنيسة روما والقسطنطينية ، وأزالة الخلاف بينهما . ولما كان هذا هو الحلم الذى سعت اليه البابوية دائماً وهو السيطرة على كنيسة القسطنطينية فقد أرسل البابا جريجورى إلى حكام غرب أوروبا يوضح لهم سوء موقف المسيحيين فى الشرق ، وما تعانیه الامبراطورية الشرقية من أخطار نتيجة لتوسع الأتراك المسلمين .

لكن دعوة البابا ذهبت ادراج الرياح ، كما شغلت البابوية فى تلك الفترة بالصراع العنيف الذى اشتعل بينها وبين هنرى الرابع امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة حول مشكلة التقليد العلمانى .

وقد تم عزل ميخائيل السابع فى ١٠٧٨ م . وحل محله نثنور بوتانياتيس Nicephorus Botaniates ( ١٠٧٨ - ١٠٨١ ) ولم يلبث أن أطاحت به ثورة انتهت باعتلاء اليكسيوس كومنينوس العرش البيزنطى فى ١٠٨١ (٢) .

وقد وجد اليكسيوس الموقف الخارجى على جانب كبير من الخطورة بسبب غزو النورمان بقيادة روبرت جويسكارد Robert Guiscard لأراضى

---

(1) Gelzer : Abriss der byzantinisch enKaisergeschichte, Munich, 1897, p. 1 010.

(2) Dvornik : Constantinople and Rome, in C.M.H. ed Hussey vol IV part I Cabrmidge, 1975, p. 464.

الامبراطورية في البلقان ، وتهديد البجناك (١) لحدودها في الشمال وتقدم السلاجقة المستمر في اسيا الصغرى ، وبعد أن خاض صراعاً مريراً ضد النورمان ، وجد أن امكانيات الدولة العسكرية لن تتح لها وقف تقدم السلاجقة ، فأرسل للبابا ايربان الثاني (١٠٨٨ - ١٠٩٩) رسالة جدد فيها طلب ميخائيل السابع من البابوية من قبل والخاص بارسال نجدة عسكرية لانقاذ الامبراطورية البيزنطية من خطر السلاجقة ، وقد وجد البابا في ذلك الفرصة المناسبة للدعوة للحروب الصليبية ضد المسلمين (٢)

وهكذا كانت معركة منزيكرت وما ترتب عليها من نتائج خاصة بتوسع السلاجقة على حساب البيزنطيين ، هي السبب المباشر لقيام الحروب الصليبية (٣) ، تلك الحروب التي استمرت لمدة قرنين من الزمان ، والتي

---

(١) البجناك عنصر من عناصر الأتراك ، وسكنوا السهول الجنوبية لروسيا وقد ذكروهم الامبراطور قسطنطين السابع با سم patzinacita وقد استخدمهم البيزنطيون منذ زمن بعيد كحلفاء لهم ضد اعداء الامبراطورية في الشمال . وفي القرن التاسع الميلادي أصبحوا يمثلون ركناً أساسياً من أركان السياسة الخارجية جنوباً لبيزنطة ، إذ اعتمد عليهم في مهاجمة البلغار وفي صد الروس عن التقدم جنوباً ، لكن الموقف تغير بعد أن فتحت بلغاريا وضمت إلى املاك الامبراطورية ١٠١٨ م . في عصر الامبراطور باسيل الثاني ، إذ أنهار بذلك الجانز الذي كان يحمي الامبراطورية من خطرهم وقد سببوا الكثير من المتاعب للامبراطورية بسبب هجرتهم على حدودها الشمالية .  
للمزيد عن هذا الموضوع أنظر :

Constantinus Porpherogenitus : De Thematilbus et de Admini-  
strando Imperio, pp. 164 — 167.

Ostrogorsky : op. cit., pp. 256, 292, 334, 343, 346.

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ص ١٣٠

(٣) مما لا شك فيه انه وجد لدى البابوية والغرب الأوروبي بصفة عامة من الأسباب والدوافع ما جعل البابا يعلن الحروب الصليبية متخذاً من استنجد اليكسيوس كومنينوس ذريعة لاعلان هذه الحروب . انظر عن هذا الموضوع .

جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، دار المعارف ١٩٦٧  
ص ص ٣٧ - ١١٠ .

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ص ٢٧ - ٤٣ .

صاحبها الكثير من التغييرات الجوهرية في منطقة الشرق الأدنى (١) .  
ويبقى التساؤل قائماً .. لماذا اتخذ المؤرخ بسيللوس هذا الموقف العدائي  
من الامبراطور رومانوس ديوجنيس وكان له هذه الاتهامات وبخلة وحده  
مسئولية هزيمة منزيكرت بأكملها ، واخفى الحقائق التاريخية الخاصة بهذه  
المعركة ؟ .

إذا استعرضنا تاريخ حياة المؤرخ بسيللوس والصراعات الداخلية في  
بزنطة في تلك الفترة التاريخية ، لا بد وأن نفهم الدافع وراء تصرفه هذا .  
ولنأخذ لمحة سريعة عن هذا الموضوع .

ولد قسطنطين بسيللوس في عام ١٠١٨ م . وكانت عائلته لا تتصف  
بالارستقراطية والثراء كباقي العائلات الكبيرة في الامبراطورية ، ولكنها  
كانت عائلة تتصف بشدة التقوى والتماسك . وكان والده يعمل بالتجارة  
وقد تجشمت والده بسيللوس الكثير من المتاعب لتربية ابنها تربية ممتازة  
بأمل أن يصبح عالماً من العلماء (٢) .

وكان بسيللوس لديه الاستعداد للاستيعاب ، واسع الاطلاع غزير  
المعلومات ، حاد الذكاء ، درس البلاغة والفلسفة ، وبدأ حياته العملية  
قاضياً في فيلادلفيا في اسيا الصغرى ، ثم عين سكرتيراً امبراطورياً في عهد  
قسطنطين التاسع منوماخوس ( ١٠٤٢ - ١٠٥٥ ) وفي عام ١٠٤٥ أصبح  
رئيساً لكلية الفلسفة بجامعة القسطنطينية التي أعيد افتتاحها بناء على رغبة  
بسيللوس ، وكان يدرس بها الفلسفة الافلاطونية وفي عام ١٠٥٥ انسحب

---

(١) لقد انطوت صفحة الصليبيين الغربيين الذين غزوا المسلمين في منطقة الشرق الأدنى في  
عام ١٠٩٧ بعد قرنين تقريباً من الزمان ، ولكن ليس معنى ذلك انتهاء قصة الحركة الصليبية  
تلك القصة التي قدر لها ان تستمر قرنين آخرين هما القرنين الرابع عشر والخامس عشر .  
(2) Jenkins : Social life in Byzantine Empire, in C.M.H. ed  
Hussey, vol IV, part, cambridge, 1967, P. 85.

إلى دير في جبل اوييمبوس في بيثينيا ، واتخذ اسم ميخائيل Michael الذي  
اشهر به .

نكن الحياة الديرية لم تناسب طبيعته فعاد إلى الحياة العامة في عام ١٠٥٦  
واستأنف نشاطه الدنيوي ، وقد استحوذ بسيلوس على احترام معاصريه ،  
وأصبح واحداً من أكثر الشخصيات نفوذاً في الامبراطورية .

عاد بسيلوس إلى التدريس في جامعة القسطنطينية من جديد وإلى جانب  
الفلسفة كان يدرس البلاغة ، وقد تتلمذ عليه عدد كبير من الطلاب من  
عناصر مختلفة ، وقد كتب بسيلوس في أحد رسائله يقول : «لقد سمرنا  
الكلت والعرب ، وسعوا الينا من القارتين على السواء ، النيل يروى الأرض  
عند المصريين ، وكلامي يروى أرواحهم ، احد الناس يعنى بشعاع  
الحكمة، وآخر يعنى بالنجم الساطع، وثالث يعنى بأكثر الأسماء خيالاً» (١) .  
وقد انجز بسيلوس الكثير في حياته . وخلف كتابات كثيرة في اللاهوت ،  
الفلسفة (٢) العلوم الطبيعية ، التاريخ ، القانون ، كما كتب بعض الشعر  
وعدد من الخطب والرسائل ، ويقول المؤرخ الألماني هوسينج Hausing  
«ان بسيلوس لم يكن مبتكراً أو خيالاً ، وانما هو مفكراً نشاطه الأدبي  
يجلسه جنباً إلى جنب مع روجريكون (٣) ، والبرت ماجنوس (٤) ،

(1) Vasiliev : op., cit., vol, p. 367.

(٢) عن دور بسيلوس في احياء الفلسفة الافلاطونية راجع :

Hussey and Hart : Byzantine Theological

Speculation and spirituality, in C.M.H. ed Hussey, cambridge,

1975, vo lv, part", pp. 1 194 — 195.

(٣) روجر بيكون Roger Bacon عالم انجليزي، عاش في الفترة المتوسطة من القرن الثالث

عشر المبادى (١٢٢٠ - ١٢٩٢) وهو ينتمى لعائلة ارستقراطية عريقة ، وحاز شهرة كبيرة  
أثناء عمله بالتدريس في كلية الآداب جامعة باريس ، وخاصة عن طريق محاضراته عن فلسفة ارسطو  
وفي الفترة من ١٢٤٧ - ١٢٥٧ عمل بجامعة اوكسفورد وكرس نفسه من أجل رعاية العلوم  
الجديدة التي ادخلت في جامعة اوكسفورد، مثل اللغات ، الرياضيات ، علم البصريات، الكيمياء  
وعلم الفلك . للمزيد راجع :

Encyclopedia Britannica, U.S.A. vol 1, pp. 527-528.

(٤) البرت ماجنوس Albertus Magnus (١٢٠٠ - ١٢٨٠) عالم ألماني و ولد في

لكن تفكيره لم يكن أبداً بعمق تفكيرهما» (١)

أما فازيليف فيقول ان بسيللوس رجل آداب أكثر منه رجل تعليم يرجع اليه الفضل في تطوير الثقافة البيزنطية في القرن الحادى عشر مثلما طورها فوتيوس Photius في القرن التاسع وقسطنطين السابع في القرن العاشر (٢).

وقد شارك بسيللوس في الحياة السياسية في عصره ، وعاصر تسع أباطرة فقد ولد في عصر باسيل الثانى (٩٧٦ - ١٠٢٥) وتوفى في ١٠٧٨ في عصر ميخائيل السابع (١٠٧١ - ١٠٧٨) .

وقد تدرج بسيللوس في وظائف البلاط ، كسكرتير للامبراطور ، وكبير الخجابه ، والمستشار الأول ، والوزير الأول ، ولقى الخطوة لدى العديد من أباطرة وامبراطورات هذه الفترة الزمنية ويقول بسيللوس ان الامبراطور قسطنطين التاسع كان معجباً أشد الاعجاب ببلاغته ، وكانت اذناه ملتصقتين دائماً بلسانه .

---

مدينة Padua في اقليم سوايبا في ألمانيا ، اشتهل بالفلسفة ، العلوم الطبيعية واللاهوت حتى أطلق عليه اسم Doctor Universalis لشمول معلومات في كافة فروع المعرفة انضم للجماعة الدومنيكان الدينية في Lavingen في ١٢٢٣ وقام بالتدريس في مختلف الأديرة في ألمانيا وخاصة في مدينة كولونيا ثم انتقل حوالى سنة ١٢٤٥ إلى جامعة باريس حيث عمل بها أستاذاً في كلية اللاهوت واكتسب شهرة عظيمة بفضل كتاباته في اللاهوت والفلسفة ، وقال عنه معاصره روجريبيكون الذى كان صديقاً له «انه الأكثر شهرة بين العلماء المسيحيين». وقد عبر البرت في كتاباته عن وجهة النظر السائدة في عصره في اللاهوت ، الفلسفة والتاريخ الطبيعى وكان هو الوحيد من بين فلاسفة العصور الوسطى الذى قام بعمل شروح لكل كتابات ارسطو في الفلسفة .  
للمزيد راجع :

Encyclopedia Brithannica, U.S.A. Vol. 1, PP. 527 — 528.

(1) Haussing : Ahistory of Byzantine civilisation, p. 324.

(2) Vasiliev : op. cit. vol<sup>1</sup>, p. 368.

- أما الامبراطور ميخائيل السادس فكان معجباً أشد الاعجاب بعمق تفكيره وذوقه « كما لو كان العسل يسيل من بين شفثيه » على حد تعبير بسيلوس نفسه (١) .

وقد شهدت هذه الفترة التاريخية التي عاصرها بسيلوس ضعف الامبراطورية البيزنطية وصاحبها تغييرات كثيرة على العرش الامبراطوري وغالباً تغييرات في السياسة العامة للدولة . وقد أظهر بسيلوس براعة كبيرة لكيف نفسه تبعاً لتغير الأحوال ، ولم يتردد في استعمال انتمائى ، الخوضوع الرشاوى ، وغيرها من الأساليب الملتوية لخدمة مصالحه الشخصية (٢)

وقد امتازت هذه الفترة التاريخية كذلك بسيطرة الحزب المدني في معظم الأحيان على مقاليد الحكم في بزنطه وكان بسيلوس أحد أعمدة هذا الحزب المدني ، وقد لعب دوراً بارزاً في تنصيب قسطنطين العاشر دوقاس على العرش الامبراطوري في ١٠٥٩ م . والبسه الحنف الارجوانى بيديه ، وكانت عائلة دوقاس تمثل الارستقراطية المدنية في الناصمة . وقد أصبح بسيلوس المستشار الرئيسى للامبراطور والمؤدب الخاص لابنة وولى عهده ميخائيل وأصبحت نه السيطرة على كل أوجه السياسة الامبراطورية .

وقد اشتد اعجاب الامبراطور قسطنطين دوقاس بمستشاره المعلم الفيلسوف والخطيب البارح بسيلوس ، الذى عبر عن اعجاب الامبراطور به في العبارة التالية :

---

(1) Vasiliev : op. cit; vol', p. 368.

Dolger : Byzantine literature, in C.M.H. ed Hussey cambridge, 1975, vol'v; part llp. 230.

(2) Haussing : op. cit; P. 323.

XXV. 'Επανεπαύετο δὲ ἐπ' οὐδενὶ τῶν ἄλλων ὡς ἐπ' ἔμοι· ὅθεν εἰ μὴ τῆς ἡμέρας πολλᾶκις ὀφθείην αὐτῷ, ἐδει-  
νοπεθεῖκαί ἤσχαλλε· ἐσέβετό τε διαφερόντως τῶν ἄλλων,  
καὶ διέκειτο ἀνατιπλάμενος ἔμοθ ὡςπερ νέκταρος·

«لم يكن يرتاح لشخص آخر مثلي ، كذلك إذا لم يراني عدة مرات في  
اليوم الواحد ، كان يشتكى ويغضب ، شرفني تماماً على جميع الآخرين  
كان يرتوى مني مثلما يرتوى من الرحيق الالهي» .

أما الامبراطورة ايدوكيا فكانت تراه « كأنه اله » (٢) . وعند وفاة  
الامبراطور قسطنطين دوقاس ١٠٦٧ ، انتقلت الوصاية على ابنائه الصغار  
ميخائيل ، اندرونيكوس وقسطنطين إلى والدتهم الامبراطوره ايدوكيا ،  
ولكن السلطة الفعلية كانت في أيدي بسيللوس ويوحنا دوقاس شقيق  
الامبراطور الراحل ، اللذين أخذوا في تصريف شئون الحكم والادارة في  
الامبراطورية (٣) .

وفي أول يناير ١٠٦٨ تزوجت ايدوكيا من القائد رومانوس ديوجينيس  
الذي ينتمي إلى عائلة من أكبر العائلات البيزنطية في إقليم ثيادوتيا ، وكان  
شخصاً بارزاً وقائداً لامعاً شجاعاً ، ابلى بلاء حسناً في الحروب ضد الباجناك  
وحاز مكانة مرموقة في الحزب العسكري ، وكان يمثل الاستقرابية العسكرية  
أصدق تمثيل ، وقد عارض بسيللوس ويوحنا دوقاس هذا الزواج . ولكن  
ايدوكيا أصرت على اتمامه .

وهكذا انتقلت مقاليد الأمور من الحزب المدني الذي كان يمثله القيصر  
يوحنا دوقاس وبسيللوس إلى الحزب العسكري ممثلاً في رومانوس ديوجينيس

(1) Psellus : Chronographie, vol II, p. 150.

(2) Ostrogorsky : op. cit. p. 341.

(3) Ostrogorsky : op. cit., pè 344.

ولم يكن هذا بالشئ الذى يرضى اعضاء الحزب المدنى وعلى رأسهم يوحنا دوقاس وبسيلوس بعد أن حرموا من النفوذ والسلطة . وقد اتخذوا من ديوجنيس موقف المعارضة وأخذوا يحكون المؤامرات ضده (١) ، حتى واتهم الفرصة للقضاء عليه فى معركة منزيكرت ، وكان اندرونيكوس دوقاس أداتهم لتنفيذ المؤامرة ضد ديوجنيس كما سبق أن أوضحنا ذلك فى موضعه وقد نصبوا تلميذ بسيلوس ميخائيل دوقاس امبراطوراً ، وبذلك عادت لبسيلوس سلطاته الواسعة ومركزه المرموق خلال الفترة التى تولى فيها ميخائيل السابع الحكم ، وحتى وفاة بسيلوس فى ١٠٧٨ .

وهكذا يتضح السبب فى عداء بسيلوس للامبراطور رومانوس ديوجنيس ومحاولته القاء مسئولية الهزيمة فى منزيكرت عليه بكاملها ، وتشويهه للحقائق التاريخية الخاصة بهذه المعركة .

لذلك ، ورغم ان بعض المؤرخين يمتدحون بسيلوس كمؤرخ ويعتبرون مؤلفه التاريخي Chronographie من أهم مصادر هذه الحقبة التاريخية (٢) الا اننى أرى ان مشاركة بسيلوس فى الأحداث السياسية التى جرت فى عصره ، جعلته يتحيز لحزب ضد آخر ، وانعكس ذلك بالتالى فى تأريخه لهذه الفترة ، وهكذا فقد أهم صفه من صفات المؤرخ الحق وهى الحياد التام والبعد عن التحيز والاهواء الشخصية (٣) ، وبذلك فقد مؤلفه التاريخي هذا بعض أهميته ، ووجب على الباحث الا يتقبله ويسلم بما جاء به الا بعد مقارنته بغيره من المصادر من أجل الوصول للحقيقة التاريخية المجردة ، التى هى غاية كل باحث فى التاريخ .

(1) Hussey : The later macedonians, the comneni, in C.M.H. vol v, parti p. 209.

Ostrogorsky : op. cit., P, 344.

(٢) أنظر بداية هذا البحث ، ص ٢٠٩ .

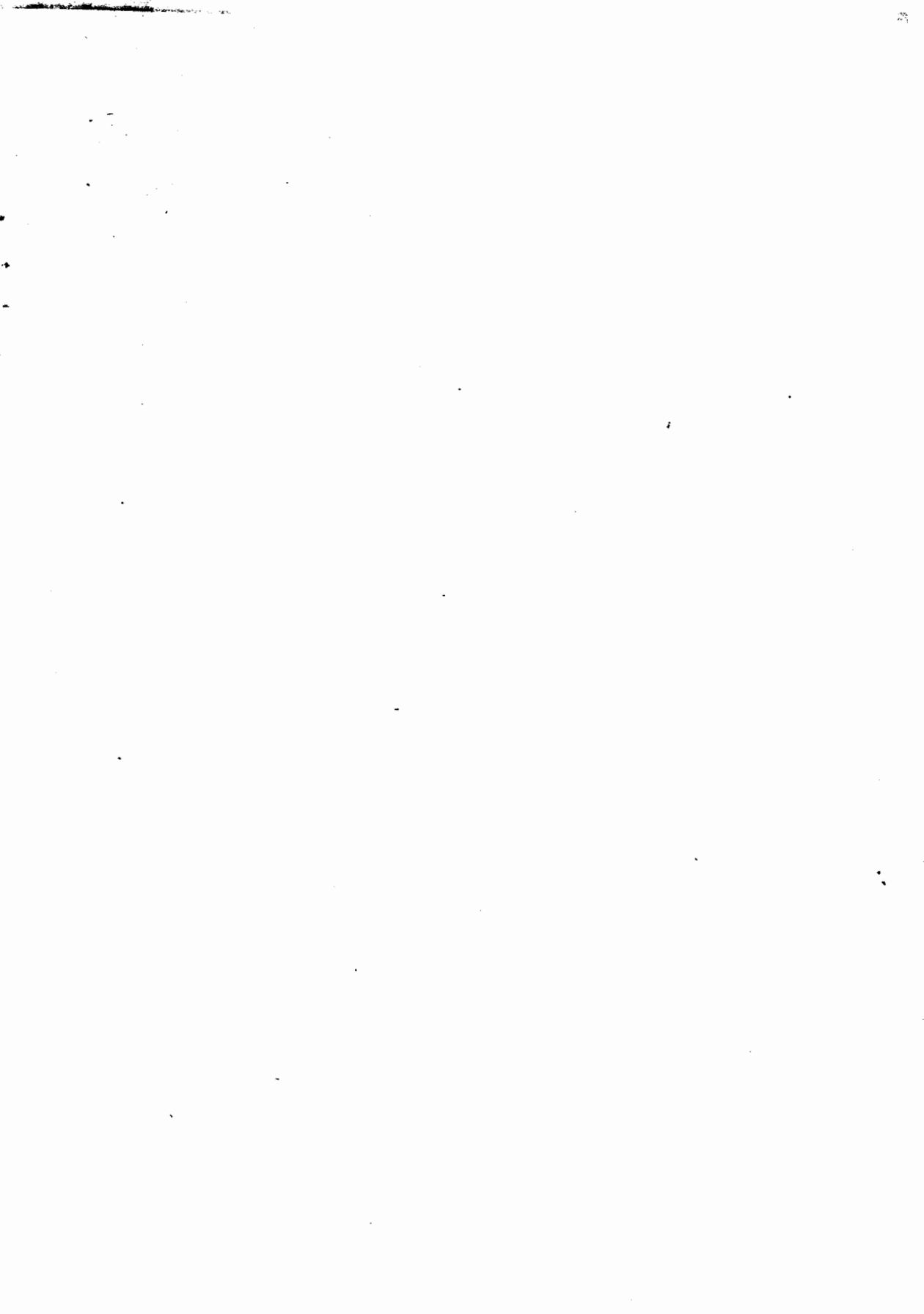
(٣) حسن عثمان : منهج البحث التاريخي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١٩ .  
محمد زيان عمر : البحث العلمى ، مناهجه وتقنياته ، الطبعة الثانية ، جدة ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٠ .

## مصادر ومراجع البحث



## المصادر العربية

- ابن الأثير : (على بن أحمد بن أبي الكرم)  
الكامل في التاريخ ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة
- ابن الجوزى : (أبي الفرج عبيد الرحمن بن علي ابن محمد بن علي)  
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد  
١٣٥٩ .
- ابن العديم : (كمال الدين أبو التماسم عمر بن أحمد بن هبة الله)  
زبدة الحلب في تاريخ حلب ، الجزء الثاني ، تحقيق الدكتور  
سامي الدهان ، دمشق ١٩٥١ .
- ابن القلانسي : (أبو يعلى حمزة)  
دليل تاريخ دمشق ، بيروت : ١٩٠٨ .
- أبو الفدا : (إسماعيل بن علي عماد الدين)  
تقويم البلدان ، باريس ، ١٨٤٠ .
- البندارى : تواريخ دولة آل محمد سلجوقي ، القاهرة ، ١٩٠٠
- الحسيني : (صدر الدين أبي الحسن علي)  
زبدة اثتواريخ ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تصحيح  
صحراء اقبال ، لاهور ، ١٩٣٣ .
- الشيرازي : (المؤيد في الدين هبة الله)  
السيرة المؤيدية ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة  
رقم ٢٦٠٥٦ .



## المراجع العربية

— أسدرستم : (دكتور)

الروم في سياستهم وحضارتهم وديانهم وثقافتهم الجزء الثاني  
دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٥ .

— السيد الباز العريني : (دكتور)

١ — الدولة البيزنطية (٣٢٣ — ١٠٨١) ، القاهرة ١٩٦٠ .

٢ — المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

— جوزيف نسيم يوسف : (دكتور)

العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، دار  
المعارف ، ١٩٦٧ .

— حسن ابراهيم حسن (دكتور)

تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب  
الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

— حسن عثمان : (دكتور)

منهج البحث التاريخي ، الطبعة الثانية القاهرة ، ١٩٦٥ .

— سعيد عاشور : (دكتور)

الحركة الصليبية ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧١ .

- عمر كمال توفيق : (دكتور)  
الامبراطورية البيزنطية ، الاسكندرية ١٩٦٧ .
- محمد سرور : (دكتور)  
النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، القاهرة ، ١٩٧١
- محمد زيان عمر : (دكتور)  
البحث العلمي ، مناهجه وتقنياته ، الطبعة الثانية جده ، ١٩٧٥
- نبيه عاقل : (دكتور)  
الامبراطورية البيزنطية ، دمشق ، ١٩٦٩ .

## المصادر والمراجع غير العربية

- Attaliota, M. : Historia, Emedatior, Bonnae, Meccci.
- Brehier, I. vie et mort de Byzance, Paris, 1969.
- Dolger, F. : Byzantine literature, in C.M.H. ed Hussey, vol. v, part II, cambridge, 1967.
- Dvornik; F. : Constantinople and Rome, in C.M.H. ed Hussey vol v, part', Cambidge, 1975.
- Encyclopedia Britannica U.S.A. Vol II, 1964.
- Gelzer : Abriss der byzantinischen kaisergeschichte, Munkch, 1897.
- Gibbon, E. : Decline and fall of the Roman Emfire, U.S.A. 1976.
- Haussing, H : Ahistory of Byzantine Civilisation English translation London, 1971.
- Hussey, y. : The tater Macedonians, The comneni and Angeli, LO25 — 1204, in c.M.H. vo. IV. Part, I ed. Hussay, cambeidge) 1966.
- Jenkins R; : Social life in Byzantine Empire, in C. M.H., ed. Hussey Vol. IV, part II, Cambridge, 1967
- Ostrogerokj, G. : History of the byzantihe state, translated by Hussey, oxford, 1968.
- Porphrogenetus, C. : De Thematibus et de A dministrando Imperio, Bekk erus, Bonnae, Mdexxi.
- Psellus, M., chronographie, collection byzantine publié sous le paronage de l'association guillaume budé serie par renauld, pairs 1928.

- Reid : the reorganisation of the empire, in C.M.H. Vol IV, part 1, Cambridge 1975.
- Rostoutzeff : A history of the ancient world, Oxford 1928.
- Runciman, S. : Byzantine civilisation, seventh impression Great Britain, 1975.,
- Schlumberger; Y. L'épopée byzantine, à la fin du dixième siècle, Paris, 1905.
- Scylitza, I; Excerpta Exbrevariario Historiarum, Weberi Bonnæ MDCCLXXXIX.
- Sinnigen, G. : A History of Rome to A.D. 565; U.S.A., 1977.
- Toumanoff; The background to Manzikert, in proceedings of the XIII th, international congress of Byzantine Studies, ed Hussey, London, Oxford, 1967.
- Vasiliev, A. : History of the Byzantine Empire, U.S.A. 1958.
- Vayonis, S. : Byzantium and Europe, London, 1967.
- Zonaras, I., Epitomæ Historiarum, Weberi, Bonnæ, MDCCLXXVII.

تم ، بحمد الله ، طبع هذه المجلة  
بمطبعة جامعة الاسكندرية ، في يوم الخميس

١٩٨١/٧/٩

محمد محمود صالح  
رئيس الطبعة

